دليل الباحث في التفسير الموضوعي

إعداد / فهد بن عبد المنعم صقير السلمي

جامعة الملك عبدالعزيز - قسم الدراسات الإسلامية

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد الذي أرسله ربه شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وبعد،

فإن علم التفسير هو أشرف العلوم عامة سواء العلوم الشرعية أو غيرها من العلوم، فهو الذي يعتني بدراسة القرآن الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو الذي يغوص في أعماق كتاب الله وأغواره ليخرج لنا درره ومكنوناته، فهو محط أنظار العلماء قديماً وحديثاً، لذلك بذلوا جل أوقاتهم في العناية بتفسيره، فقادهم ذلك إلى تنوع طرقهم في تفسيره، واستخراج أحكامه وحكمه، وتنوعت أساليبهم في تناولهم لعلم التفسير، فمنهم من اعتنى بالتفسير التحليلي، واعتنى غيرهم بالتفسير الإجمالي، وآخرون اعتنوا بالتفسير المقارن، وقسم رابع اعتنى بالتفسير الموضوعي، والذي سوف يكون إن شاء الله - تعالى - موضوع بحثنا هذا، أعني: القسم الرابع (التفسير الموضوعي).

وقد جعلت البحث في مقدمه أبين فيها أهمية هذا البحث، وفصلين، وخاتمة.

- الفصل الأول: التعريف بالتفسير الموضوعي وقد جعلته في أربعة مباحث

- المبحث الأول: تعريف التفسير الموضوعي.

- المبحث الثاني: نشأة التفسير الموضوعي وتطوره.

- المبحث الثالث: أنواع التفسير الموضوعي.

- المبحث الرابع: أهمية التفسير الموضوعي.

- الفصل الثاني: صلة التفسير الموضوعي بأنواع التفاسير الأخرى ومنهج

البحث فيه، وقد جعلته في ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الفرق بين التفسير الموضوعي وغيره.

- المبحث الثاني: منهج البحث في التفسير الموضوعي.
- المبحث الثالث: صلة علم المناسبات بالتفسير الموضوعي.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم التوصيات.
- الفهرس.

سائلاً الله - تعالى - أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل ما كتبتة خالصاً لوجهه الكريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول

التعريف بالتفسير الموضوعي

(وفيه أربعة مباحث)

المبحث الأول: تعريف التفسير الموضوعي والحاجة إليه.

المبحث الثاني: نشأة التفسير الموضوعي وتطوره.

المبحث الثالث: أنواع التفسير الموضوعي.

المبحث الرابع: أهمية التفسير الموضوعي.

المبحث الأول: تعريف التفسير الموضوعي والحاجة إليه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف "التفسير الموضوعي":

يُحَدِّدُ بنا أولاً قبل البدء في تعريف التفسير الموضوعي أن نُعرِّف (التفسير)، ثم نُعرِّف القسم الثاني من هذا المصطلح وهو (الموضوع) ليتبين معناه.

يتألف مصطلح (التفسير الموضوعي) من جزأين رُكْباً تركيباً وصفياً.

أولاً: تعريف "التفسير":

"التفسير" لغةً: من الفسر، وهو الكشف والبيان وإظهار المعنى المعقول، والتفسير مبالغة من الفسر (١)، ويُقال أيضاً أسفر الصبح إذا بان ووضح.

قال -تعالى-: نَجْمًا يَأْتُوكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بَـبٍ بَـبٍ

الفرقان: ٣٣، أي: أحسن بيانا وتوضيحا.

وفي الاصطلاح: علم يتم به فهم القرآن، وبيان معانيه، والكشف عن أحكامه، وإزالة الإشكال والغموض عن آياته (٢).

ثانياً: تعريف "الموضوع":

"الموضوع" لغةً: من الوضع، وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء كان ذلك بمعنى الخط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثيت في المكان، يُقال: ناقة واضعه: إن رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، وقيل: وضعت تضع وضيعه فهي واضعة، وكذلك موضوعة، يتعدى ولا يتعدى.

وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي؛ لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوز به إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به (٣).

وفي الاصطلاح: قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون، تعرضت لها آيات القرآن الكريم (٤).

تعريف "التفسير الموضوعي":

وبعد أن بيّنا معنى كل من "التفسير" و"الموضوع" لغةً واصطلاحاً، نذكر أقوال العلماء والباحثين في معنى التفسير الموضوعي، حيث تعددت تعاريفهم له، منها:

أولاً: هو بيان ما يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية قرآنية؛ للخروج بنظرية قرآنية بصده.

ثانياً: هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية، من خلال سورة أو أكثر.

ثالثاً: هو بيان موضوع من خلال آيات القرآن الكريم، في سورة واحدة أو سور متعددة (٥).

رابعاً: التفسير الموضوعي يقوم على جمع الآيات المتفرقة، فيصوغها صياغةً واحدةً مرتباً إياها ترتيباً يشكّل موضوعاً واحداً، مع بيان المعنى الإجمالي الذي يخدم تكامل الموضوع (٦).

ومن العلماء من يرى أن التفسير الموضوعي يُطلق ويُراد به أمران، بينهما ارتباط من بعض الوجوه.

الأول: جمع الأشباه والنظائر في القرآن الكريم حسب مادة الكلمة اللغوية، ثم ترتيبها ترتيباً معجمياً، مثل: كتاب "الأشباه والنظائر في القرآن الكريم"، لمقاتل بن سليمان البلخي.

الثاني: ذكر الموضوع، ثم جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن مما لها علاقة به، سواء اشتركت معه في اللفظ والمعنى، أو ارتبطت بالموضوع ارتباطاً قوياً ولو من بعض الوجوه، ومثال ذلك موضوع: (الجهاد في القرآن الكريم)، فتُجمع الآيات التي تتحدث عن الجهاد، وقتال الكافرين، ومجادلتهم، ومكرهم، وغير ذلك مما يتعلق بموضوع الجهاد، مما تناولته الآيات القرآنية (٧).

المطلب الثاني: الحاجة إلى التفسير الموضوعي:

تدعو الحاجة إلى التفسير بأنواعه كافةً كما هي الحال بالنسبة إلى التفسير الموضوعي، فالحاجة إليه ماسة، يقول الشيخ الغزالي في مقدمة تفسيره الموضوعي: "ولا ريب أن الدراسات القرآنية تحتاج إلى هذا النسق الآخر، بل يرى البعض أن المستقبل لها! وعلى كل حال فالقرآن الكريم دستور الإسلام ومعجزته الباقيه، والمورد الذي نتردد عليه فتحسّ الحاجة إليه آخر الدهر" (٨).

وعليه فيمكن أن نحدد الحاجة إلى التفسير الموضوعي في النقاط التالية:

هو معين على التفسير التحليلي؛ لأن القرآن الكريم خير مفسر للقرآن، فما أجمل في موضع فصل في موضع آخر، فجمع الآيات الكريمة بإزاء بعضها يعين على تفسيرها وبيان المراد منها.

يعين على معرفة جوانب الموضوع وجمع شتاته وأفراده؛ مما يحقق الإحاطة بالموضوع والإفادة منه بالصورة الصحيحة الكاملة.

١- يعين على فهم الحكم الشرعي بالصورة الصحيحة؛ عن طريق بيان

التدرج في التشريع، أو بيان النسخ، أو بيان العموم والخصوص.

٢- يعين على معرفة أسباب النزول، فجمعها في مكان واحد يعين على

فهم ما لم يرد فيه سبب نزول.

٣- يعين على معرفة أسلوب القرآن الكريم، والوقوف على جوانب من

بلاغته وفصاحته؛ حيث يُعبر عن الموضوع الواحد بأساليب عدة،

منها ما هو موجز، ومنها ما هو مفصل، ومنها ما هو مباشر، ومنها ما هو مضمّر إلى غير ذلك من الأساليب التي تكشف عن بعض أسرار الإعجاز القرآني وعجائبه (٩).

إذن التفسير الموضوعي بمعناه الخاص -وهو الوحدة الموضوعية للسورة الواحدة من سور القرآن- يعين على إبراز النظم القرآني المحكم، والترابط العجيب بين آيات السورة الواحدة، مهما كان طولها أو قصرها، والتسلسل الرائع بين العناصر والأجزاء، حتى مع اختلاف موضوعاتها، فأنت في حديقة واحدة وروضة غناء، تنتقل بين أنواع الزهور والورود التي لا تستطيع المفاضلة بين جمالها وعطرها، وهذا من أسرار الإعجاز القرآني (١٠).

المبحث الثاني: نشأة التفسير الموضوعي وتطوره

أرجع بعض العلماء بدايات التفسير الموضوعي إلى عصر التزويل في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- وإن لم يكن بالاسم الذي بين أيدينا اليوم وهو مصطلح "التفسير الموضوعي"، وأرجع بعضهم بداياته إلى عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الذي كان له بعض البحوث في القرآن الكريم، مثل: موضوع النار في القرآن الكريم وغيرها من بحوث، ويرجعه البعض إلى محمد ابن أبي بكر المعروف بابن القيم (ت ٧٥١هـ)، وهو أول من أشار إلى هذا النوع من التفسير من خلال كتابه "التيان في أقسام القرآن"، الذي درس موضوع القسم في القرآن، في حين يرجعه بعضهم إلى لقرن الثاني الهجري، مستشهداً بمن كتب عن الناسخ والمنسوخ وغريب القرآن وغيرها (١١).

ولقد شهد عصر تدوين التفسير تأليف مباحث خاصة في نواح متعددة من القرآن، أشار إليها الشيخ مناع القطان بقوله: "وبإزاء التفسير العام في عصور التدوين كان التفسير الموضوعي يسير جنباً لجنب، فألف ابن القيم كتابه (التيان في أقسام القرآن)، وألف أبو عبيدة كتاباً عن (مجاز القرآن)، وألف الراغب الأصفهاني في (مفردات القرآن)، وألف أبو جعفر النحاس في (الناسخ والمنسوخ)، وألف أبو الحسن الواحدي (أسباب النزول)، وألف الجصاص في (أحكام القرآن)،

وتتابعت الأبحاث القرآنية في العصر الحديث، ولا يخلو واحدٌ منها من تفسير لبعض آيات القرآن لجانب من الجوانب" (١٢).

إلا أن البعض يرى أنه لم يُعرف هذا العلم إلا في القرن الرابع عشر الهجري، حينما قرّرت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر (١٣).

ومما لا شك فيه أن لبنات التفسير الموضوعي كانت موجودة منذ عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وإبان نزول القرآن الكريم، فالقرآن يفسّر بعضه بعضاً، وهذا هو أفضل أنواع التفسير، فما أجمل في موضع فصل في موضع آخر، وما أهم في موضع يُبين في موضع آخر، وكذلك ما جاء عاماً في موضع خُصص في موضع آخر، وما أُطلق في موضع قيّد في موضع آخر، وقد يكون هناك نسخ، فلا غنى للقرآن عن القرآن، فإذا قرأنا قصة موسى - عليه السلام - في سورة النازعات مثلاً فإننا نجد آياتها أتت بعبارات موجزة لا نستطيع إدراك تفاصيلها إلا بقراءة سور أخرى من القرآن تبين لنا تفاصيل القصة كاملة وما دار بين موسى وفرعون، كسورة القصص أو سورة طه (١٤).

ولقد كان الصحابة - رضي الله عنهم - يشكل عليهم فهم بعض الآيات، ولربما شق عليهم ذلك فيرجعون إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن معانيها، فنجد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يستخدم هذا الأسلوب حين يضم الآيات بعضها إلى بعض؛ ليتضح المعنى ويتبين المراد، روى الشيخان (١٥) وغيرهما عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: لما نزلت: **چَا ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُم** **پچ الأنعام: ٨٢**، شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أيننا لا يظلم نفسه؟ قال ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه؟ **چ فث شُرِكْ بِاللّهِ ءِتَ الشِّرْكَ لَظْمٌ عَظِيمٌ** **چ لقمان: ١٣**.

وروى البخاري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسّر مفاتيح الغيب في قوله - تعالى -: **چ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ** **چ الأنعام: ٥٩**، فقال: مفاتيح الغيب خمس: **چ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**

وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا
تَكْسِبُ ۚ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِمِجَازِ الْقَمَانِ: ٣٤ (١٦).

وقد كان الصحابة - رضوان الله عنهم - يلجأون إلى مثل هذا التفسير من
الجمع بين الآيات القرآنية، عندما يظنون وجود التعارض بينها، روى البخاري
بسنده عن المنهال عن سعيد بن جبيرة قال: قال رجل لابن عباس - رضي الله
عنهما -: إني لأجد في القرآن أشياء تختلف علي، قال: "فلا أنساب بينهم يومئذٍ
ولا يتساءلون"، "وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون"، "ولا يكتُمون الله
حديثاً"، "والله ربنا ما كنا مشركين"، فقد كنتموا في هذه الآية، وقال - تعالى -:
"أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها..." إلى قوله: "والأرض بعد ذلك دحاها"،
فذكر خلق السماء قبل الأرض، ثم قال - تعالى -: "قل أأنتم لتكفرون بالذي
خلق الأرض في يومين..." إلى قوله: "طائعين"، فذكر في هذه خلق الأرض قبل
خلق السماء، وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء
فسوَّاهن في يومين آخرين، ثم دحى الأرض ودحياها أن أخرج منها الماء والمرعى،
وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام، وما بينهما في يومين آخرين، فذلك
قوله - تعالى -: "دحاها" (١٧).

وقد جمع العلماء هذه الآيات ذات الصلة بموضوع واحد في كتبهم الفقهية،
فجمعوا ما يتعلق بالوضوء والتميم تحت كتاب الطهارة واستنبطوا منها الأحكام
الخاصة بها، كما جمعوا ما ورد في الصلاة وقيامها وركوعها والقراءة فيها تحت
كتاب الصلاة، وما يتعلق بالصدقات وجوباً ومصارف المال وأنواعه التي تُخرج
الصدقة منها تحت كتاب الزكاة، وهكذا في سائر أبواب الفقه من العبادات
والمعاملات والفرائض والسير. وكل ذلك لون من ألوان التفسير الموضوعي في
خطواته الأولى (١٨).

واستمر الأمر كذلك إلى عصرنا الحاضر، حيث توجهت أنظار الباحثين إلى
هدايات القرآن الكريم في الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية والعلوم الكونية
والطبيعية، فنجد مؤلفات مثل: الإنسان في القرآن، والأخلاق في القرآن، والصبر

في القرآن، واليهود في القرآن، والرحمة في القرآن، وكتاب المستشرق الفرنسي جول لايوم "تفصيل آيات القرآن الكريم"، ومن خلال تصفحك لأبواب هذا الكتاب وفروعه المختلفة؛ كالتاريخ والشرعية والتجارة والعلوم والفنون، فهو بهذا يُعد لم شتات موضوع من الموضوعات القرآنية (١٩).

وكان الاتجاه اللغوي حاضراً في الدراسات الموضوعية في الوقت الذي تناول فيه العلماء جمعهم الآيات ذات الصلة بموضوع واحد، واهتموا به ولم يغفلوه وألفوا فيه مؤلفات كثيرة، يقول الدكتور مصطفى مسلم: "وقد أخذت هذه الدراسات الموضوعية اتجاهاً آخر في الوقت نفسه، وهو الاتجاه اللغوي، وذلك بتتبع اللفظة القرآنية ومحاولة معرفة دلالاتها المختلفة" (٢٠).

ومن اهتم من العلماء بالتأليف في هذا الاتجاه (اللغوي)، على اختلاف عصورهم واهتماماتهم:

١- يحيى بن سلام المتوفى سنة: ٢٠٠هـ في كتابه "التصارييف"، تفسير القرآن مما اشبهت أسماءه وتصرفت معانيه على طريقة كتاب "الأشباه والنظائر".

٢- الراغب الأصفهاني المتوفى سنة: ٥٠٢هـ في كتابه "المفردات في غريب القرآن".

٣- ابن الجوزي المتوفى سنة: ٥٩٧هـ في كتابه "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" (٢١).

ولم يقف العلماء عند هذا الحد من التفسير الموضوعي، بل تنوعت أساليبهم، فوجد منهم من جعل آيات القرآن الكريم هي الأساس الذي ينطلق منه إلى موضوعات قرآنية بحتة، وعن هؤلاء يقول الدكتور الذهبي: "وكذلك وُجد من العلماء من ضيق دائرة البحث في التفسير، فتكلم عن ناحية واحدة من نواحيه المتشعبة المتعددة، فابن القيم أفرد كتاباً من مؤلفاته للكلام عن أقسام القرآن، سماه "التيبان في أقسام القرآن"، وأبوعبيدة أفرد كتاباً للكلام عن مجاز القرآن، والراغب الأصفهاني أفرد كتاباً في مفردات القرآن، وأبو جعفر النحاس أفرد كتاباً في الناسخ والمنسوخ من القرآن، وأبو الحسن الواحدي أفرد كتاباً في أسباب نزول القرآن، والخصاص أفرد كتاباً في أحكام القرآن، ومثله ابن العربي، والكيما الهراسي، وغير

هؤلاء كثير من العلماء الذين قصدوا إلى موضوع خاص في القرآن، يجمعون ما تفرق منه ويفردونه بالدرس والبحث" (٢٢).

وقد توالى هذه الجهود وتتابعت في التفسير الموضوعي، حتى أصبحت مصطلحاً معروفاً واتجاهاً واضحاً في التفسير في العصر الحديث، حيث وجدنا من العلماء من يتناول بالتفسير سورة واحدة، كما فعل الدكتور محمد البهي في تفسير سورة يوسف، وإبراهيم، وغيرهما.

وكما فعل غيره في سور أخرى كالنور والأحزاب، على اعتبار أن هذه السور تتناول موضوعاً واحداً أو رئيساً، ومنهم من تناول بالتفسير موضوعاً من موضوعات القرآن، فجمع آياته المتفرقة وقام بتفسيرها في كتاب واحد، كما فعل الدكتور دراز في كتابه القيم "الأخلاق في القرآن الكريم"، والدكتور يوسف القرضاوي في كتابه "الصبر في القرآن الكريم"، ومن هذا القبيل "مناهج الجدل في القرآن الكريم" للدكتور زاهر الأملعي، و"الوحي المحمدي" لرشيد رضا، و"سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من القرآن" لمحمد عز دروزة، و"أصول التوحيد في القرآن" للدكتور محمد صالح، و"عالم الملائكة الأبرار وغيره" للدكتور عمر الأشقر، و"الوحدانية والتوحيد" للدكتور عبدالستار السعيد، و"المرآة في القرآن" للعقاد، وغير ذلك كثير في شتى الموضوعات والمعارف؛ كالتربية، والاقتصاد، والعلاقات الاجتماعية، والعلاقات الدولية، والسلام، والحرب، والإنسان، حتى صار - كما قلنا - اتجاهاً واضحاً ومصطلحاً معروفاً (٢٣).

لعلنا بهذا القدر من البحث في نشأة التفسير الموضوعي وتطوره نكون قد تعرفنا وألمنا بمراحل تطور هذا العلم.

المبحث الثالث: أنواع التفسير الموضوعي

اتخذ التفسير الموضوعي أنواعاً متعددة، حسب فهم السابقين له والمعاصرين، فالسابقون بقيت مؤلفاتهم محصورة في بيان دلالة الكلمة في موضعها، أما المعاصرون فتتبعوا الكلمة في القرآن وربطوا بين دلالاتها في مختلف المواضع. وبالتالي فإنه من خلال الطريقة التي اتبعها السابقون في مؤلفاتهم والمنهجية التي سار عليها المعاصرون في أبحاثهم، استنبط كثير من المؤلفين في القرن الرابع عشر الهجري ثلاثة أنواع للتفسير الموضوعي:

النوع الأول:

أن يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم، ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها. فالمتتبع لمثل هذا يخرج بلون من التفسير لأساليب القرآن الكريم في استخدام مادة الكلمة ودلالاتها.

ومن المؤلفات العمدية في مثل هذه الأبحاث التي تضمنت هذا اللون من التفسير مايلي:

- ١- كتاب الراغب الأصفهاني "المفردات في غريب القرآن".
 - ٢- كتاب الدامغاني "إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن".
 - ٣- كتاب السمين الحلبي "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ" (٢٤).
- ولم يحاول المؤلفون القدامى في مثل هذه المؤلفات أن يربطوا بين الكلمة في السور ذات العلاقة، لذلك بقي تفسيرهم للكلمة محصوراً في الدلالة اللفظية فقط. ومن الأمثلة على ذلك:

نموذج من كتاب: "المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني، في كلمة "أمة":

والأمة: كل جماعة يجمعهم أمر ما؛ إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخييراً أو اختياراً، وجمعها أُمَمٌ. وقوله - تعالى - **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ** ج ج چ **أَمْثَالِكُمْ** چ الأنعام: ٣٨.

أي: كل نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها بالطبع؛ فهي بين ناسخة كالعنكبوت، وبانية كالسُرَّة، ومدخرة كالنمل، ومعتمدة على قوت وقتها كالعصفور والحمام، إلى غير ذلك من الطبائع التي تخصص بها كل نوع. وقوله - تعالى -: **ج كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً** ج البقرة: ٢١٣، أي: صنفاً واحداً، وعلى طريقة واحدة في الضلال والكفر.

وقوله - تعالى -: **جَاءَ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ** بـ چ هود: ١١٨،
أي: في الإيمان.

وقوله - تعالى -: **وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ** چ آل
عمران: ١٠٤، أي: جماعة يتخبرون العلم والعمل الصالح يكونون أسوةً لغيرهم.
وقوله - تعالى -: **يٰٓ اٰی ءِاٰبَآءَنَا عَلٰی اُمَّةٍ** چ الزخرف: ٢٣،
أي: على دين مجتمع.

قال الشاعر: وهل يأتمن ذو أمة وهو طائع.
وقوله - تعالى -: **وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ** چ يوسف: ٤٥، أي: حين.
وقُري "بعد أمة"، أي: نسيان، وحقيقة ذلك بعد انقضاء أهل عصر أو أهل دين.
وقوله - تعالى -: **چَ اِنَّ اِبْرٰهِيْمَ كَانَ اُمَّةً قَانِتًا** ف چ النحل:
١٢٠، أي: قائماً مقام جماعة في عبادة الله، نحو قولهم: فلان في نفسه قبيلة.
وروي أنه يُحشر زيد بن عمرو بن نفيل أمةً واحدةً.

وقوله - تعالى -: **لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ** چ آل
عمران: ١١٣، أي: جماعة.

وجعلها الزجاج ههنا للاستقامة، وقال: تقديره ذو طريقة واحدة، فترك
الإضمار (٢٥).

ثم انتقل إلى لفظة (أُمِّي)، ثم إلى كلمة (الإمام)، ثم إلى كلمة (الأُمِّ)، وختم
المادة بالحديث عن حرف (إمّا).

قال الدكتور مصطفى مسلم معلقاً: "وفي كل ذلك لم يتعرض لسياق الآيات
التي استخدمت فيها كلمة (أُمَّة)، وإنما تعرض لها في مواطنها، ولم يفصل القول في
عناصر تكوين دلالات هذه اللفظة ولا مقومات استمرارها ودورها" (٢٦).

وعلى النقيض من ذلك سار بعض المعاصرين، حينما تتبعوا الكلمة وحاولوا
الربط بين دلالاتها في مختلف المواضع، واستنبطوا دلالات دقيقة من القرآن الكريم،
كربطهم بين أصل الكلمة اللغوي ووجوه استعمالها في القرآن كله.
ومن الأمثلة على ذلك:

نموذج من كتاب "الأمة في دلالتها العربية والقرآنية"، للدكتور أحمد حسن فرحات، في كلمة "الأمة".

تتبع الدكتور فرحات كلمة الأمة في جميع الآيات القرآنية، ثم استخرج منها معاني كلمة "الأمة" من المعاجم اللغوية، ثم أسهب في هذا البحث من خلال النقاط التالية:

- ١- أصل الكلمة اللغوي.
- ٢- الاشتقاق اللغوي.
- ٣- الأمة بمعنى الجماعة.
- ٤- الأمة بمعنى الدين.
- ٥- الأمة بمعنى الرجل المنفرد.
- ٦- الأمة بمعنى الحين أو الزمن.
- ٧- نظرة جديدة تربط هذه المعاني.

بعد ذلك تأمل الدكتور فرحات في استعمال القرآن لمصطلح "الأمة"، وتناول بالعرض والتحليل المسائل العلمية الآتية:

"الأمة" في القرآن بمعنى الجماعة، وقد عرض القرآن ستة أصناف من الجماعات، كل صنف يُطلق على أفرادهِ أمة، مستشهداً بآيات القرآن:

الجماعة من كل حي، الجماعة من الناس على دين واحد، الجماعة من الناس التي لها رسول واحد، الجماعة المسلمة المتبعة لمحمد - صلى الله عليه وسلم -، الجماعة من العلماء.

ثم تكلم عن ورود "الأمة" في القرآن بمعنى الملة والدين، وبمعنى الرجل المنفرد الذي لا نظير له، وبمعنى الحين أو الزمن، مستشهداً بآيات القرآن.

ثم تحدث عن المعنى الإسلامي للأمة، وإقامة الرسول - صلى الله عليه وسلم - للأمة المكونة من المهاجرين والأنصار.

ثم عرض العناصر الأربعة لتكوين الأمة عند الغرب، وهي: العرق، والأرض، والتاريخ، واللغة. ونقدها نقداً علمياً إسلامياً، مبيناً سر استبعاد الغرب (للدين) في تكوين الأمة.

وختتم بحثه مبيناً تحقق أهداف إقامة الأمة وأبعادها، كما صورها القرآن في الأمة الإسلامية الوسط، التي أقامها الرسول - صلى الله عليه وسلم - على مبادئ القرآن وتوجيهات الإسلام (٢٧).

النوع الثاني:

حصر الآيات القرآنية التي تتناول موضوعاً واحداً بأساليب متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق.

وفيه يتتبع الباحث الموضوع من خلال سور القرآن الكريم، ويستخرج الآيات التي تتحدث عن هذا الموضوع، وبعد حصرها ومعرفة تفسيرها يستنبط العناصر المتعلقة بالموضوع من خلال الآيات، ويقوم بالتنسيق بين العناصر، ثم يقسم الموضوع إلى أبواب وفصول ومباحث، متجنباً التعرض للأمور الجزئية في تفسير الآيات، فلا يتطرق للقراءات ووجوه الإعراب إلا بالقدر الذي يحتاج إليه، مع توضيح مقاصد الآيات والحكمة الربانية، بأساليب معينة وألفاظ محددة (٢٨).

النوع الثالث:

هو الهدف الأساسي في السورة الواحدة، ويكون هذا الهدف هو محور التفسير الموضوعي في السورة.

وطريقة البحث فيه هي: أن يستوعب الباحث هدف السورة الأساسي، ثم يبحث عن سبب نزول السورة أو الآيات التي عرضت الموضوع الأساسي للسورة، ويضيف إليها الأساليب القرآنية، والمناسبات بين مقاطع الآيات في السورة، مما يعطي لكل سورة شخصيتها المستقلة وأهدافها الأساسية، فالسورة المكيّة تعرض أسس العقيدة الإسلامية مفصلةً، والمدنيّة تبرز أصول الأحكام الشرعية.

ولم يعتنِ المفسرون القدماء بهذا النوع من التفسير الموضوعي، بل أشاروا إليه ضمن تفاسيرهم، ولكنه ظهر جلياً في عصرنا الحاضر.

ويُعد كتاب "في ظلال القرآن" لسيد قطب نموذجاً جيداً؛ حيث عرض أهداف كل سورة وأساسياتها، مع بيان شخصيتها وملاحظاتها المتميزة والأساليب المتبعة في عرض أفكارها (٢٩).

المبحث الرابع: أهمية التفسير الموضوعي

تكمن أهمية التفسير الموضوعي في حاجة المسلمين إليه في عصرنا الحاضر أكثر من أي وقت مضى؛ وذلك لبروز أفكار جديدة على الساحة، لم تستطع الحضارة المعاصرة إيجاد الحلول المناسبة، ولم تفلح في حل مشكلات البشرية، ولا يمكن إيجاد الحلول الصحيحة إلا عن طريق التفسير الموضوعي.

يقول الدكتور زاهر الألمعي: "الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم تعطي مدًا جديدًا لانتشار تعاليم هذا القرآن، وتناولها بالدراسات في وحدة موضوعية؛ ذلك لأن التركيز على موضوع واحد معين وتتبع موارده ومآخذه في القرآن كله مكّيه ومدنيّه لتحلية جوانبه كلها، يهيئ له من العناية والبيان والدراسة ما لا يتهيأ له لو دُرِس في أثناء التفسير العام" (٣٠).

ويقول: "كما أن هذا النوع من التفسير يفسح المجال للدارسين في شتى التخصصات؛ ليحاول كلٌّ منهم تحلية ما يتعلق باختصاصه من القرآن، بصورة أعمق مما لو تناوله غيره" (٣١).

وبالتالي فإن الباحث يستطيع من خلال جمع معلومات حول موضوع معين عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والإحاطة بدلالاتها، الوصول إلى أفكار جديدة، وقواعد يسير عليها، ويدرك من خلالها معالجة الإسلام لكل ما يستجد من مشكلات ومعضلات لا حلول لها.

ثم إن تخصيص موضوع من نصوص القرآن الكريم لدراسته، وجمع أطرافه، ومعرفة أسباب نزوله، وتحديد المرحلة التي نزلت فيها الآيات القرآنية لتعالج بعض جوانبه، كل ذلك يعطي للموضوع جواً علمياً لدراسة بعمق وشمولية من خلال التفسير الموضوعي (٣٢).

ويمكن القول بأنه من خلال الاجتهاد في فهم نصوص القرآن فهماً مناسباً لروح العصر، والتدبر الأمثل لآياته، ومن خلال الوقوف على علل النصوص وهداياتها العامة ودلالاتها، ومعرفة مقاصد الشريعة، يمكننا أن نصل إلى اكتشاف الكثير من أنوار الهدايات القرآنية التي نقوم بها كل مستحدث جديد في المعارف الإنسانية المستحدثة، بل في مختلف شؤون الحياة (٣٣).

يقول الدكتور مصطفى مسلم: "عن طريق التفسير الموضوعي يستطيع الباحث أن يبرز جوانب جديدة من وجوه إعجاز القرآن الكريم، الذي لا تنقضي عجائبه.

فكلما جدّت على الساحة معطيات جديدة لتطور الفكر البشري، يعايشها المفسّر ويحيط بدقائقها وحقائقها، ثم يلجأ إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية الشريفة؛ ليستنتق النصوص الشريفة ويميط اللثام عن وجوه جديدة من الهدايات القرآنية.

ويجد أهل الاختصاص في كل فن أن المعجزة الخالدة الباقية تقيم الحجة على الأجيال، وأن في القرآن من الكفاية والغناء عن كل شيء: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ العنكبوت: ٥٠، ٥١" (٣٤).

وتكمن أهمية التفسير الموضوعي أيضاً في تأهيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها، ولقد نالت بعض العلوم القرآنية حظاً وافراً من جهود العلماء، وصُنفت فيها عشرات المصنفات، مثل: العلوم المتعلقة بالجوانب اللغوية، والدراسات الفقهية لآيات الأحكام، لكن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم برز إلى الساحة حديثاً، فهو يحتاج إلى الضبط بقواعد العلم المستمدة من هداية القرآن الكريم؛ لئلا تُعامل الآيات القرآنية معاملة العلوم التجريبية كالفلك والطبيعة والإنسان (٣٥).

إن بعض العلوم المعاصرة ذات أهمية بالغة في حياتنا، ولكنها غير واضحة الصلة بهدايات القرآن الكريم، ولم نجد نصوصاً محددة تناولتها من القرآن أو السنة النبوية، وإنما نعرف ذلك من خلال روح النصوص الكريمة، والسوابق القضائية والفقهية للعلماء السابقين، ولا نتمكن من الإحاطة بها إلا عن طريق التفسير الموضوعي (٣٦).

الفصل الثاني

صلة التفسير الموضوعي بأنواع التفاسير الأخرى

ومنهج البحث فيه

(وفيه ثلاثة مباحث)

المبحث الأول: الفرق بين التفسير الموضوعي وغيره.

المبحث الثاني: منهج البحث في التفسير الموضوعي.

المبحث الثالث: صلة علم المناسبات بالتفسير الموضوعي.

المبحث الأول: الفرق بين التفسير الموضوعي وغيره

ترتبط التفاسير ببعضها ارتباطاً وثيقاً، فلا غنى لأحدهما عن الآخر، فلا يُتصور أن يستغني التفسير التحليلي عن التفسير الموضوعي أو الإجمالي أو المقارن، فلا يمكن الفصل بينها بحيث يكون لكل نوع مجاله وأسلوبه ونتائجه.

وذلك لأن غايات جميع الباحثين وأهدافهم في التفسير واحدة، فمردهم جميعاً إلى كتاب الله - تعالى - فهو مجال بحثهم، فالكل يبحث في الكشف عن مراد الله - تعالى - من الآيات، كل بقدر وسعه وطاقته.

فالباحث في تفسير الآيات بأسلوب التفسير الإجمالي لا يستطيع التعبير عن موضوعها بأسلوبه الخاص؛ لتقريب المعاني وإبراز جوانب الهداية منها، ما لم يكن على علم ودراية بالتفسير التحليلي.

وكذلك الحال بالنسبة لمن يريد تفسير الآيات بأسلوب التفسير المقارن، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، لا بد أن يكون على علم ودراية بأقوال المفسرين؛ ليستطيع أن يدرك المفسر الذي لم يخرج عن روح النص والغرض الأساسي من الآيات الكريمة، عن المفسر الذي حَمَلَ هذه الآيات ما لم تحتمل، أو لم يدرك معناها اللغوي، فأنحرف بها عن دلالاتها، وأولها على غير ما يجب أن تأوّل به.

أما بالنسبة للباحث في التفسير الموضوعي، فينبغي عليه الاعتماد على جميع أنواع التفسير المذكورة سابقاً، في جميع كتابته ومنهجه؛ لأن التفسير الموضوعي يُعد ثمرة هذه الأنواع جميعاً، وهو مرحلة تخصصية متأخرة عن باقي الأنواع السابقة (٣٧).

وحيث إن الباحث في التفسير الموضوعي إذا تناول موضوعاً من خلال القرآن كله، فلا بد أن يُقسّم الموضوع إلى عناصر، وعندما يريد التعبير عن أحد هذه العناصر يلزمه الرجوع إلى التفسير الإجمالي؛ ليوضح هذا العنصر ويشرحه ويستدل عليه.

أما إذا تناول الباحث موضوعاً من خلال سورة قرآنية معينة، فلا بد أن يُقسّم السورة إلى مقاطع، حسب ترتيب الآيات في السورة، أو حسب تسلسل العناصر، أو الهدف الأساسي في السورة، أو المحور الذي تدور عليه السورة. ولا بد للباحث عندما يريد أن يعبر عن مضامين هذه المقاطع وإبراز الهدايات القرآنية منها وربطها بالهدف الأساسي للسورة، أن يرجع إلى التفسير الإجمالي في طريقة عرضه للأهداف، وربط المقاطع كلها بمحور السورة؛ لإبراز الهدف الأساسي فيها (٣٨).

بعد أن بيّنا حاجة كل نوع من أنواع التفاسير للآخر، نوضح أهم الفوارق بين التفسير الموضوعي وأنواع التفاسير الأخرى، في النقاط التالية:

أولاً: الفرق بين التفسير الموضوعي والتفسير الإجمالي:

بعد أن عرفنا أن التفسير الموضوعي هو جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد، والإحاطة التامة بكل جوانب الموضوع، وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية؛ للوصول إلى حقائق تفيد الإنسان والمجتمع بأسره، فإن التفسير الإجمالي يقوم على الإجمال والإيجاز والاختصار، ففيه يقوم المفسر بتفسير القرآن كاملاً، لكنه يقدم المعنى الإجمالي للآيات، بدون توسع أو إسهاب، وتكون الغاية إيصال المعنى بأقصر الطرق، وإبراز ما تهدف إليه الآيات من مقاصد وحكم سامية، ويُصاغ بالفاظ في متناول الجميع فتحيط به أفهامهم، وإذا أراد الباحث تقريب المعنى للمخاطبين، فله الاستعانة بحديث نبوي، أو أثر عن السلف الصالح، أو حادثة تاريخية، أو قصة قرآنية، أو ذكر سبب نزول (٣٩).

ومن نماذج كتب التفسير الإجمالي:

١- "مجاز القرآن"، ومؤلفه: أبو عبيدة معمر بن المثنى.

٢- "تفسير الجلالين"، لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي.

٣- "صفوة البيان لمعاني القرآن"، ومؤلفه: حسنين مخلوف.

٤- تفسير ابن سعدي.

ثانيًا: الفرق بين التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي:

التفسير الموضوعي سبقت الإشارة إليه.

أما التفسير التحليلي: ففيه يقوم المفسر بتفسير آيات القرآن حسب ترتيبها في المصحف الكريم تفسيراً تحليلياً دقيقاً، كاشفاً عن كل معانيها وأوجه استعمالها، ويبين ما في الآية من فصاحة الألفاظ ودلالات التراكيب، ويحلل اللفظ، ويعرب النص إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ويذكر مناسبة كل آية للآية التي قبلها والتي بعدها، والسورة للسورة، ويبين سبب النزول إن وُجد، ثم يقوم المفسر ببيان معنى النص القرآني، موضحاً مقاصد الشريعة التي يشير إليها النص القرآني، وما يُستخلص من النص من فوائد وعبر وأحكام، مستعيناً في بيان ذلك بنصوص القرآن، أو السنة، أو أقوال الصحابة - رضي الله عنهم -، أو سلف الأمة الصالح (٤٠).

ومن نماذج كتب التفسير التحليلي:

١- "جامع البيان في تفسير القرآن الكريم"، ومؤلفه: ابن جرير الطبري.

٢- "البحر المحيط"، ومؤلفه: أبو حيان.

٣- "تفسير القرآن العظيم"، ومؤلفه: ابن كثير.

٤- "تفسير الجصاص".

٥- "الوسيط"، ومؤلفه: الواحدي.

٦- "الكشاف"، ومؤلفه: الزمخشري.

٧- "مفاتيح الغيب"، ومؤلفه: الرازي.

٨- "الجامع لأحكام القرآن"، ومؤلفه: القرطبي.

٩- "في ظلال القرآن"، ومؤلفه: سيد قطب.

ثالثًا: الفرق بين التفسير الموضوعي والتفسير المقارن:

التفسير الموضوعي سبقت الإشارة إليه.

أما التفسير المقارن ففيه يقوم الباحث بالمقارنة بين آراء المفسرين في بعض الآيات أو السورة، ويوازن بين ماجاء في كل كتاب؛ ليتعرف على منهج كل مفسر، وطريقته في موضوعه، ومدى التزامه بمنهجه، مبيِّناً الفن الذي غلب على كل مفسر؛ فهذا قد أكثر من تحليل الألفاظ، وآخر في الإعراب والبلاغة، وغيره في الفقه والأصول والأحكام، ومفسر تأثر بالعلوم الكونية، وآخر بالتاريخ، وبعد ذلك يعرض أقوالهم على الميزان الصحيح لمعرفة أحسن المعاني في تفسير النص القرآني، وهذه المقارنة تكون خاصة بسورة قصيرة أو موضوع معين، وذلك مثل: المقارنة بين زيادة الإيمان ونقصانه، أو الآيات التي تحدثت عن رؤية الله - تعالى - في الآخرة، وهكذا (٤١).

المبحث الثاني: منهج البحث في التفسير الموضوعي

يختلف منهج التفسير الموضوعي عن أنواع التفاسير الأخرى، ويتميز عنها بخطوات ارتبطت به، لا بد من مراعاتها عند الكتابة فيه.

وقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: منهج التفسير الموضوعي للآيات المتفرقة:

يقوم هذا المنهج على الخطوات الآتية:

الخطوة الأولى: اختيار عنوان للموضوع:

إن من أنسب الطرق المعينة على وضع ضابط للموضوع المناسب للدراسة التفسيرية الموضوعية، هو أن يكون الموضوع خادماً للمقاصد القرآنية، بالكشف عن جوانبها، وإبراز مظاهرها، وإن استحضار هذه المقاصد عند اختيار الموضوع يجعل الموضوع أكثر قرباً من القرآن الكريم، كما أنه يساهم في استبعاد الموضوعات التي لا تتوافق مع هذه المقاصد (٤٢).

الخطوة الثانية: جمع الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بهذا الموضوع:

إن من خطوات التفسير الموضوعي جمع الآيات ذات العلاقة بالموضوع؛ لأنه في منهجه يُنظر للآيات باعتبار موضوعها لا باعتبار موضعها، ومما يعين على ذلك:

١ - معاجم الألفاظ: "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم"، ومؤلفه: محمد

عبد الباقي.

٢- معاجم الموضوعات: "المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم"، ومؤلفه: صبحي عمر (٤٣).

الخطوة الثالثة: ترتيب الآيات حسب التزول:

إن مراعاة أسباب التزول ضروري في معرفة التدرج أو النسخ أو التخصيص، وهو ضروري لمعرفة الحكم الشرعي.

الخطوة الرابعة: الترتيب الموضوعي للآيات:

في هذه الخطوة يتم ترتيب الآيات حسب الموضوع، فلو جمع الباحث آيات عن الصبر مثلاً، فإنه يتوفر لديه عدد من الآيات في موضوع واحد، كآيات التي تتحدث عن الصبر على الطاعة، كما جاء في قوله - تعالى -: **جَاءَ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِرَبِّكَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، فِثْ فِثْ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا ۝٢٨** الكهف: ٢٨، والآيات التي تتحدث عن الصبر على البلاء، كما جاء في قوله - تعالى -: **جَاءَ وَخَذَ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ، وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمَ الْعَبْدُ فِثْ فِثْ ۝٤٤** ص: ٤٤ (٤٤).

الخطوة الخامسة: تفسير الآيات:

ويُستعان في هذه الخطوة بمفهوم المفسرين لكل آية في موضوعها في التفاسير التحليلية، والتعرف على أسباب نزولها إن وُجدت، وإلى دلالات الألفاظ واستعمالاتها، ثم يستنبط الباحث الأحكام والحكم والنتائج التي توصل إليها (٤٥).

الخطوة السادسة: كتابة الموضوع:

إن الخطوات الخمس المتقدمة، على الرغم مما تضمنته من جهد ونتائج، إلا أنها لا تُعد شيئاً ذا بال، ما لم تُوظف، وتُترجم في هذه الخطوة السادسة، إذا أخذنا في الاعتبار إمكانية الفصل بين الدراسة النظرية والتطبيق العملي، فكتابة الموضوع دليل على قدرة الباحث على ترجمة ما توصل إليه عن طريق الدراسة النظرية.

المطلب الثاني: منهج التفسير الموضوعي للسورة الواحدة:

تعددت آراء المؤلفين واختلفوا في عد السورة من مجالات التفسير الموضوعي، فذهب بعضهم إلى استبعاد أن تكون السورة مجالاً من مجالات التفسير الموضوعي،

وعلى رأس هؤلاء الدكتور عبدالستار السعيد (٤٦)، وذهب آخرون إلى اعتبار السورة مجالاً لذلك، وعلى رأسهم الدكتور صلاح الخالدي (٤٧).

ويبدو أن سبب ذلك الاختلاف يعود إلى إمكانية القول بالوحدة الموضوعية في السورة الواحدة، فمن قال بذلك سوَّغ أن تكون السورة مجالاً من مجالات التفسير الموضوعي، ومن لم يَر ذلك استبعدا لأن تكون مجالاً لذلك (٤٨).

ولقد سبق العلماء قديماً إلى التأليف في تفسير سورة واحدة، وسار على نهجهم من أتى بعدهم من العلماء إلى وقتنا الحاضر، ولقد وضع العلماء المعاصرون خطوات علمية لتفسير السورة الواحدة تفسيراً موضوعياً؛ ليكون العمل متكاملًا، ولتبدو السورة وكأنها وحدة متكاملة، ونذكر فيما يلي هذه الخطوات:

التقديم للسورة بتمهيد يُعرِّف فيه بأمور تتعلق بالسورة؛ من ذكر سبب النزول، والمرحلة التي نزلت فيها السورة.

١- محاولة التعرف على الهدف الأساسي في السورة، والمحور الذي تدور حوله.

٢- تقسيم السورة - وبخاصة الطويلة - إلى مقاطع أو فقرات، تتحدث آياتها عن عنصر من عناصر الهدف، أو مجال من مجالات المحور.

٣- ربط هذه المقاطع وما يُستنبط من هدايات من كل منها بالهدف الأساسي للسورة (٤٩).

وذكر الدكتور الخالدي إحدى عشرة خطوة، هي:

- ١- ذكر اسم السورة التوقيفي.
- ٢- الإحاطة باسم السورة الاجتهادي.
- ٣- تحديد زمان نزول السورة ومكانه.
- ٤- بيان جو نزول السورة.
- ٥- تحديد الأهداف الأساسية للسورة.
- ٦- التعرف على شخصية السورة.
- ٧- الربط بين السورة وما قبلها.
- ٨- تقسيم السورة الطويلة إلى أقسام.
- ٩- تقسيم الوحدة إلى دروس موضوعية.

- ١٠- استنتاج أهم الحقائق للسورة.
- ١١- الرجوع إلى أمهات كتب التفسير للاطلاع على تفسير السورة (٥٠).
- ونلخص الخطوات التي ذكرها الدكتور زياد الدغامين فيما يلي:
- ١- معرفة البيئة المعنوية التي نزلت فيها السورة.
- ٢- النظرة الشمولية للسورة.
- ٣- التأمل الدقيق في السورة لإدراك مناسباتها.
- ٤- إن كثيراً من السور تؤدي غرضها الأساسي وموضوعها في عدة مراحل، ولا بد من التعانق بين كل مرحلة والأخرى.
- ٥- ذكر المناسبات بين الجمل مع بعضها، والآيات كذلك في السورة.
- ٦- تفسير السورة تفسيراً تحليلياً (٥١)

المبحث الثالث: صلة "علم المناسبات" بالتفسير الموضوعي

"علم المناسبات" ذو صلة وثيقة بالتفسير الموضوعي، وبخاصة التفسير الموضوعي للسورة؛ وذلك لتزول الآية أو الآيات في أسباب مختلفة وحوادث متفرقة، ثم نجد في سورة واحدة، وقد تكون الفترة قصيرة بين الآيات التي وضعت في أي موضع من السورة، والآيات التي وضعت بعدها، وقد تكون الفترة طويلة؛ لذلك تبدو أهمية معرفة "علم المناسبات" بين الآيات في السورة الواحدة، والآيات المتفرقة في القرآن الكريم (٥٢).

و"المناسبة" في اللغة: المشاكلة (٥٣).

وفي الاصطلاح: الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه.

و"المناسبة" في القرآن الكريم تعني: مناسبة السورة لما قبلها وبعدها، وارتباط الآية بما قبلها وبعدها (٥٤).

و"علم المناسبات" بين السور والآيات من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى فهم وتدقيق لنظم البيان القرآني، وتُعرف منه علل ترتيب أجزائه، وله علاقة وثيقة بالتفسير، حتى قيل: "إن نسبة هذا العلم من التفسير، نسبة علم البيان من النحو" (٥٥).

ولقد اهتم بعض العلماء بـ "علم المناسبات"، وكان الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد النيسابوري صاحب السبق في إظهار هذا العلم.

قال الشيخ أبو الحسن الشهرستاني: "أول من أظهر ببغداد (علم المناسبة) ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئت عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة" (٥٦).

وعن "علم المناسبات" يقول بعض أهل العلم: "قد وهم من قال: لا يُطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب أنهما على حسب الوقائع ترتيباً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سورته كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يُبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يُطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سبقت له" (٥٧).

وقد أفرد بالتصنيف العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي في كتابه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن"، وصنف فيه العلامة برهان الدين البقاعي في كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، ثم السيوطي في كتابه "تناسق الدرر في تناسب السور" (٥٨).

وقد وجد من العلماء من سار على النقيض من هذا الاتجاه، ولم يسلّموا به ووصفوه بأنه تكلف وتصنع لا حاجة إليه، ولعل أول من استنكر ذلك سلطان العلماء العز بن عبد السلام (٥٩).

واستنكر الإمام الشوكاني من خاض في "علم المناسبات" وقال: "اعلم أن كثيراً من المفسرين جاعوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله - سبحانه - وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا (المناسبة) بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتزهد عنها كلام البلغاء، فضلاً

عن كلام الرب - سبحانه - حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف" (٦٠).

وذكر حجج المنكرين لهذا اللون من الربط بين الآيات، وضرب الأمثلة على ذلك.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،،،

فأحمد الله - تعالى - الذي يسر لي الانتهاء من هذا البحث المتواضع، وأسأله - جل شأنه - أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

ثم إنه يمكن تلخيص أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث في النقاط التالية:

١ - التفسير الموضوعي هو بيان موضوع من خلال آيات القرآن الكريم؛ في سورة واحدة، أو سور متعددة.

٢ - إن التفسير الموضوعي وإن سبقت الكتابة فيه في القرون المتقدمة، إلا أنه لم يُعرف بهذا المصطلح إلا في القرن الرابع عشر الهجري.

٣ - توالى جهود العلماء وتتابعت في التفسير الموضوعي، حتى أصبحت مصطلحاً معروفاً واتجاهاً واضحاً في التفسير في العصر الحديث.

٤ - لم يُغفل العلماء الاتجاه اللغوي في الدراسات الموضوعية، فقد تتبعوا اللفظة القرآنية، وحاولوا معرفة دلالاتها المختلفة.

٥ - للتفسير الموضوعي ثلاثة أنواع:

- تتبع لفظة من كلمات القرآن الكريم.

- حصر الآيات القرآنية التي تتناول موضوعاً واحداً.

- المهدف، وهو محور التفسير الموضوعي في السورة.

٦ - وجود حاجة ماسة للتفسير الموضوعي في العصر الحديث؛ وذلك لبروز أفكار جديدة في عصرنا الحاضر، عجزت الحضارة المعاصرة عن إيجاد الحلول المناسبة لها.

- ٧- هناك ارتباط وثيق بين أنواع التفاسير المختلفة (الموضوعي، والتحليلي، والإجمالي، والمقارن)، بحيث لا يمكن الفصل بينها.
- ٨- للتفسير الموضوعي منهجان، منهج التفسير الموضوعي للآيات المتفرقة، ومنهج التفسير الموضوعي للسورة الواحدة.
- ٩- للتفسير الموضوعي صلة وثيقة بـ "علم المناسبات".
- ١٠- وأخيراً أوصي القائمين على التعليم العالي في سائر بلدان العالم الإسلامي بضرورة تدريس مادة "التفسير الموضوعي"؛ لحاجة الناس إليها في العصر الحديث، كما أوصي القائمين على الدراسات العليا في التخصصات المتعلقة بالكتاب والسنة حث طلاب الدراسات العليا على البحث في مجال "التفسير الموضوعي".

قائمة المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق سعيد المندوب، ط١، لبنان، ١٤١٦هـ، دار الفكر.
- ٣- بحوث ونماذج في التفسير الموضوعي: د. محمد غنيم، ط١، القاهرة، ١٤٢٢هـ، دار القلم.
- ٤- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ١٣٩١هـ، دار المعرفة.
- ٥- تعريف الدارسين بمنهج المفسرين: د. صلاح الخالدي، ط٣، دمشق، ١٤٢٩هـ، دار القلم.
- ٦- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: د. صلاح الخالدي، ط١، الأردن، ١٤١٨هـ، دار النفائس.
- ٧- التفسير الموضوعي نماذج رائدة في ضوء القرآن الكريم: د. محمد محمد عوض، ط١، الرياض، ١٤٢٩هـ، مكتبة الرشد.
- ٨- التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي، القاهرة، دار الحديث.
- ٩- التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل: د. زيد العيص، ط١، الرياض، ١٤٢٦هـ، مكتبة الرشد.
- ١٠- دراسات في التفسير الموضوعي: د. زاهر الأملعي، ط٣، الرياض، ١٤٢٥هـ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية في أثناء النشر.

- ١١- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، ط٣، بيروت، ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير.
- ١٢- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ١٣- فتح القدير: الشوكاني، بيروت، دار الفكر.
- ١٤- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، ط١، بيروت، دار صادر.
- ١٥- مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم، ط١، دمشق، ١٤١٠هـ، دار القلم.
- ١٦- مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ط٢٢، بيروت، ١٤٠٨هـ، مؤسسة الرسالة.
- ١٧- محاضرات في التفسير الموضوعي: د. عباس عباس، بيشة، ١٤٢٤هـ، مكتبة الخبتي الثقافية.
- ١٨- المدخل للتفسير الموضوعي: د. عبدالستار السعيد، ط١، القاهرة، دار الطباعة والنشر.
- ١٩- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلاني، لبنان، دار المعرفة.
- ٢٠- مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي: أحمد رحمان، ط١، إربد بالأردن، ٢٠٠٨م، عالم الكتب الحديث.
- ٢١- منهجية البحث في التفسير الموضوعي: د. زياد الدغامين، ط١، عمان، ١٩٩٥م، دار البشر.
- ٢٢- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم: محمد الغزالي، ط٤، القاهرة، ١٤٢٠هـ، دار الشروق.
- ٢٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي، ط٢، القاهرة، ١٤١٣هـ، دار الكتاب الإسلامي.
- ٢٤- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم والسورة القرآنية: د. محمود الأطرش، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٨م، دار الإيمان.

الهوامش والإحالات :

- (١) المفردات في غريب القرآن: الأصفهاني ص ٥٧١.
- (٢) تعريف الدارسين بمنهج المفسرين: الخالدي، ص ٢٤.
- (٣) مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص ١٥.
- (٤) محاضرات في التفسير الموضوعي عباس عباس، ص ١١.
- (٥) مباحث في التفسير الموضوعي: ص ١٦.

- (٦) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم والسورة القرآنية: محمود الأطرش، ص ١٦.
- (٧) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الأملعي، ص ١٠، ١١.
- (٨) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم: ص ٦.
- (٩) انظر: بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي: محمد غنيم، ص ٣٣، ٣٤.
- (١٠) انظر: المرجع السابق: ص ٣٥.
- (١١) الوحدة الموضوعية: ص ١٨.
- (١٢) مباحث في علوم القرآن: القطان، ص ٣٤٢.
- (١٣) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ص ١٧.
- (١٤) انظر: بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي: ص ١٩.
- (١٥) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله - تعالى -: "ولقد آتينا لقمان الحكمة"، ح ٣٢٤٦، واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، ح ١٢٤.
- (١٦) رواه في كتاب التفسير، باب "وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو"، ح ٤٣٥١.
- (١٧) رواه في كتاب التفسير، باب تفسير حم السجدة، ح ٤٥٣٧.
- (١٨) مباحث في التفسير الموضوعي: ص ١٩.
- (١٩) محاضرات في التفسير الموضوعي: ص ١٧.
- (٢٠) مباحث في التفسير الموضوعي: ص ٢٠.
- (٢١) انظر: المرجع السابق: ص ٢٠.
- (٢٢) التفسير والمفسرون: ١ / ١٣٤.
- (٢٣) بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي: ص ٢٣، ٢٤.
- (٢٤) انظر: التفسير الموضوعي نماذج رائدة في ضوء القرآن الكريم: محمد عوض، ص ٤٧.
- (٢٥) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ١ / ٢٣.
- (٢٦) مباحث في التفسير الموضوعي: ص ٢٧.
- (٢٧) انظر: التفسير الموضوعي نماذج رائدة في ضوء القرآن الكريم: ص ٤٨، ٤٩.
- (٢٨) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ص ٢٧.
- (٢٩) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ص ٢٨، ٢٩.
- (٣٠) دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: ص ١٩.
- (٣١) انظر: المرجع السابق: ص ١٩.
- (٣٢) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ص ٣١.
- (٣٣) التفسير الموضوعي نماذج رائدة في ضوء القرآن الكريم: ص ٥٩.

- (٣٤) مباحث في التفسير الموضوعي: ص ٣١، ٣٢.
- (٣٥) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ص ٣٢.
- (٣٦) انظر: المرجع السابق: ص ٣٢.
- (٣٧) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ص ٥٢، ٥٣.
- (٣٨) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ص ٥٤.
- (٣٩) انظر: التفسير الموضوعي نماذج رائدة في ضوء القرآن الكريم: ص ٦٣.
- (٤٠) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: ص ٢١.
- (٤١) انظر: التفسير الموضوعي نماذج رائدة في ضوء القرآن الكريم: ص ٦٦.
- (٤٢) التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل: زيد العيص، ص ١٧٣، ١٧٤.
- (٤٣) انظر: المرجع السابق: ص ١٨١، ١٨٣.
- (٤٤) انظر: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم: ص ٢٤.
- (٤٥) انظر: مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي: أحمد رحمان، ص ١٨، ١٩.
- (٤٦) المدخل للتفسير الموضوعي: ص ٢٤.
- (٤٧) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: ص ٥٢.
- (٤٨) انظر: التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل: ص ١١٦.
- (٤٩) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ص ٤٠.
- (٥٠) انظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: ص ٧٣-٧٥.
- (٥١) انظر: منهجية البحث في التفسير الموضوعي: ص ١٣٤-١٣٨.
- (٥٢) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ص ٥٧.
- (٥٣) لسان العرب: ابن منظور، ٧٥٦/١.
- (٥٤) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي: ص ٨٣.
- (٥٥) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، ص ٦.
- (٥٦) البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ٣٦ / ١.
- (٥٧) الإتيقان في علوم القرآن: السيوطي، ٢٨٩ / ٣.
- (٥٨) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي: ص ٨٣.
- (٥٩) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ص ٦٢.
- (٦٠) فتح القدير: ٧٢ / ١.